أسلوب الانتقال من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية في السياق القرآني
-دراسة وصفية تحليلية-

دكتورة / هيا بنت حمدان الشمري
أستاذ التفسير المساعد – قسم الدراسات القرآنية – كلية التربية
جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية

الملخص العربي

القرآن الكريم معجز في نظمه و أسلوبه وبلاغته ، وهذا شاهد على أنه تنزيل من حكيم حميد .

تناول هذا البحث أحد أسراره البديعة، ألا وهو « أسلوب الانتقال من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية في السياق القرآني» .

تقف هذه الدراسة عند هذا الأسلوب و تبرز الأوجه البلاغية فيه من خلال دراسة عدة أمثلة دراسة وصفية تحليلية .

وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث .

اشتمل التمهيد على بيان لمفردات البحث ، وتضمن المبحث الأول الانتقال من الأمور الحسية إلى معنى التقوى ، وتضمن المبحث الثاني الانتقال من الأمور الحسية إلى معنى الهداية والإيمان ، وتضمن المبحث الثالث الانتقال من الأمور الحسية إلى معنى الطهارة المعنوية .

ثم خاتمة البحث وفيها النتائج التي توصل إليها .

الملخص الإنجليزي

The holy Qur'an is of miraculous language which is a testimony that it is the word of god.

This paper discusses one of it's marvellous secrets, which is the way in which the transmission from tangible to spiritual things in the context of Qur'an.

Moreover, this study emphasis this method of transmission and illustrates the Qu'arn's eloquent aspects through studying several objective analytical examples.

This paper includes an introduction, a premise, and three discussion points.

The premise covers the important glossary, the first discussion point include imparting from tangible concepts to the meaning of piety, the second discussion point is about getting to guidance and beliefs from tangible concepts, and the last discussion point moves to the meaning of spiritual purity from tangible things.

Finally the paper concludes with conclusions that the author arrived at .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله عز وجل ولي الأبرار، والصلاة والسلام على حضرة النبي المختارِ، وعلى آله وصحبه الأخيار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القرار.

وبعد:

فإنَّ أولى ما تصرف فيه الأفكار، تدبر كلام الله سبحانه العزيز الغفار، واستخراج ما فيه من العلوم بالإدكار، فإنه منبع العلوم ومستخرج الأنوار، ولهذا وغيره سعى الجهابذة الكبار، من أئمة الأمصار ، من أهل الرواية والدراية، فحملوا الراية لخدمة الكتاب ، وكشفوا عن مكنون أساليبه الحجاب، ومن تدبر أساليب الخطاب، وسلّمَ لبديع سبك آيات الكتاب، لما يرى فيه مما تحار فيه الألباب، من انتقال وإيجاز واطناب، في أعلى أساليب البلاغة الشاهدة أنه تنزيل من العزيز الوهاب، وقد أردت أن يكون بحثي في روضة أسلوب بديع من أساليب الكتاب العزيز ألا وهو « أسلوب الانتقال من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية في السياق القرآني» ورأيت أن يكون عنوان البحث على مسمى هذا الأسلوب والله سبحانه أسأل أن يتقبله بقبول حسن، وينفع به إنه جواد كريم.

❖ **أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

١- تعلَّقه بكتاب الله تعالى وبتفسيره، وشرف العلم بشرف المعلوم.

٢- تعلقه بالسياق القرآني، فهو ركن قويم للفهم المستقيم للكتاب الكريم.

٣- إبراز بعض وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

٤- إظهار الارتباط الكبير بين الأمور الحسية والمعنوية التي جاءت في سياق واحد .

٦- أنَّ الموضوع لم يَبحث فيه أحد بحثًا كافيًا يسد جوانبه فيما أعلم بعد البحث والاستقصاء.

٧- أنَّه يسهم في فتح بعض المشاريع العلمية في دراسة أسالب الارتباط في الكتاب الكريم.

❖ **الدراسات السّابقة:**

إنَّ البحث لموضوع أساليب القرآن متشعب جداً لكني سأقتصر على الدراسات القريبة من الموضوع، وها هي بين يديك:

١- **رسالة دكتوراه بعنوان:** الجمال الحسي والمعنوي من المنظور القرآني، للباحث : محمد بن عامر بن علي، في جامعة أم درمان الإسلامية، لعام ٢٠١٠م.

وقد اطلعت على الرسالة وهي رسالة قيمة في بيان الجمال القرآني والفرق بين ما درسه الباحث وبين ما أريد أن أبحثه هنا ما يلي:

- أنَّ الباحث اختص في بيان أنواع الجمال في القرآن، وأنا بحثي في الارتباط في المعاني الحسية والمعنوية دون تلك الناحية.
- أن مقصود الباحث بالمعاني الحسية جمال السماء والأرض ونحوها ، والمعنوية كالصبر الجميل ونحوها دون النظر إلى الارتباط بينهما.
- أنَّه توسع في بعض المعاني التي تخرج البحث عن موضوعه.

٢- **بحث بعنوان:** جماليات الانتقال والتخلص في جزء عمَّ، للباحث عمر بن عبد العزيز المحمود، نشر في مجلة جامعة أم القرى ، العدد (٢٤) من صفحة ١٣-٨٩، والفرق بينه وبين بحثي أمور من أهمها :

- أنَّ بحثه عام في جميع اساليب الانتقال وبحثي خاص في الانتقال من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية.
- أنَّه اقتصر في بحثه على نماذج يسيرة من جزء عمَّ واستطرد في دراستها.
- أنه لم يتطرق إلى الانتقال من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية التي قصدت البحث فيها.

٣- **بحث بعنوان:** البعد الحسي والمعنوي في اللفظ القرآني، للباحثة : جليلة صالح صاحب، نشر في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، جامعة القادسية، كلية الأدب ، مج ٢٩، العدد الرابع الصفحات ١٩٩-٢٢٤.

والبحث لغوي ليس تفسيريا ويبحث في اللفظة الواحدة في مدلولها الحسي والمعنوي، بخلاف البحث الذي أريده. .

هذا آخر ما رأيته قريبا من البحث وأسأل الله التوفيق والسداد.

❖ **خطة البحث:**

قسمتُ البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وتحتوي على افتتاحية، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السّابقة، وخطة البحث والمنهج الَّذي سأتبعه فيه.

التمهيد: وفيه بيان المراد بمفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: في الانتقال من الأمور الحسية إلى معنى التقوى وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول:الانتقال من الزاد الحسي إلى الزاد المعنوي في قوله تعالى:﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة البقرة:١٩٧]..

المطلب الثاني:الانتقال من اللباس الحسي إلى اللباس المعنوي في قوله تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف:٢٦]

المطلب الثالث: الانتقال من القربة الحسية إلى القربة المعنوية في قوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ﴾ [سورة الحج:٣٧]

المبحث الثاني: في الانتقال من الأمور الحسية إلى معنى الهداية والإيمان، وفيه ثلاث مطالب :

المطلب الأول: الانتقال من شعيرة الصيام الحسي إلى الذكر لأجل الهداية في قوله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٨٥]

المطلب الثاني: الانتقال من الطريق الحسي إلى الطريق المعنوي **في قوله تعالى:** ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة النحل:٩]

المطلب الثالث: الانتقال من الزرع الحسي إلى الإيمان المعنوي **في قوله تعالى:**﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح:٢٩]

المبحث الثالث :في الانتقال من الأمور الحسية إلى الطهارة المعنوية ، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: في الانتقال من إنزال الأمطار الحسية إلى طهارة الأرواح في قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الأنفال:١١]

المطلب الثاني: في الانتقال من إنزال صدقة المال الحسي إلى طهارة القلب **في قوله تعالى** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة المجادلة:١٢].

المطلب الثالث: في الانتقال من تطهير الثياب إلى تطهير الاعتقاد في قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة المدثر:٤- ٥]

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات، والفهارس .

❖ **منهج البحث:**

١- اعتمدت على المنهج الوصفي التّحليلي ، والاستنباطي من مناهج البحث.

٢- قمت بدراسة ثلاثة مباحث وثلاثة مطالب فقط من كل مبحث لكثرة الأمثلة وسعة الموضوع.

٣- رتبت المطالب في المبحث الواحد حسب ترتيب المصحف.

٤- ابتدأت في كل مطلب بذكر الآية الّتي فيها هذا الأسلوب مع عزوها إلى السّورة، وذكر رقمها في الأصل دون الحاشية، ثم بينت معناها إجمالاً ، ثم بيّنت جمال هذا الأسلوب في هذا السياق، وأوجه الترابط بين الأمر الحسي والمعنوي .

٥- خرّجت الأحاديث النبوية، والآثار الواردة في البحث، مع الحكم عليها باختصار.

٧- راعيت أن يكون البحث على ما تعارف عليه الباحثون في الدراسات العليا من القواعد الإملائية، وكتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعلامات التّرقيم، وضبط ما يُشكِل، والعزو إلى المصادر، ونحو هذا.

ولا حول ولا قوة إلا بالله لعلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

التمهيد: وفيه بيان المراد بـمفردات عنوان البحث.

لقد تعارف بعض الباحثين على بيان المراد من المصطلحات العلمية التي يجعلونها في عناوين بحوثهم؛ لما في ذلك من بيان شافٍ لما يراد بحثه، وجرياً على هذا العرف الخاص أقول :

لقد اشتمل عنوان البحث ((أسلوب الانتقال من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية في السياق القرآني)) على المصطلحات التالية :

١- الأسلوب: جاء الأسلوب في اللغة بمعنى الطريق الممتد[١]، وأما في الاصطلاح فقد تباينت التعريفات فيه ومن أجمعها ما عرفه الأستاذ منذر عياشي فقال: " الأسلوب حدث يمكن ملا حظته ، أنع لساني :لأن اللغة أدات بيانه، وهو نفسي لأن الأثر غاية حدوثه، وهو اجتماعي لأنَّ الآخر ضرورة وجوده[٢]" وهذا التعريف وإن كان جامعاً لكثير من العلوم لكن ما أريد بحثه فأعني به الطريق المسلوك فهو أقرب للمعنى اللغوي.

٢- الأمور الحسية: هي الأمور المنسوبة إلى الحس وهو كما قال الجرجاني :" الحسّ: هو القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة، فالحواس الخمسة الظاهرة، كالجواسيس لها، فتطلع عليها النفس من ثمة فتدركها، ومحله مقدم التجويف الأول من الدماغ"[٣].

٣- الأمور المعنوية: وهي الأمور غير الحسية كما عرفها الجرجاني فقال: "المعنوي: هو الذي لا يكون للسان فيه حظ، وإنما هو معنى يعرف بالقلب"[٤].

٤- السياق القرآني: السياق في اللغة التتابع ، قال الأزهري : تساوقت الأبل تساوقا ، إذا تتابعت[٥].

وأما التعريف الأصطلاحي له فقد اختلفت عبارة الباحثين في تعريفه ومن أبرز من عرّفه الدكتور المثنى عبد الفتاح فقال في تعريف السياق القرآني :" تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[٦].

---

[١] لسان العرب (٤٧١/١) مادة (سلب).

[٢] مقالات في الاسلوبية، ص ٣٧، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ط١/١٩٩٠.

[٣] التعريفات (ص: ٨٦).

[٤] التعريفات (ص: ٢٢٠).

[٥] تهذيب اللغة (٢٣٤/٩).

[٦] انظر دراسة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان ، ص ١٤ ، وهي رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية ، واستفدت هذا من بحث السياق القرآني وأثره في التفسير ، للباحث عبدالرحمن المطيري، ص ٦٥.

المبحث الأول: في الانتقال من الأمور الحسية إلى معنى التقوى وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الانتقال من الزاد الحسي إلى الزاد المعنوي في قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[سورة البقرة:١٩٧] .

المعنى الإجمالي :

أمر الله عزوجل عباده بالتزوّد مما يحتاج إليه في سفر الحج، و هذا الزاد الذي يقي الإنسان من الهلكة أثناء سفره ، أو الحاجة إلى السؤال، والتكفّف .

قال الطبري : "وتزوّدوا من أقواتكم ما فيه بلاغكم إلى أداء فرض ربكم عليكم في حجكم ومناسككم، فإنه لا بر لله جل ثناؤه في تركككم التزود لأنفسكم ومسألتكم الناس ولا في تضييع أقواتكم وإفسادها"[١].

وقد نزلت الآية في شأن أهل اليمن الذين يحجّون ولا يتزوّدون ، فأمرهم الله عزوجل بالتزود من الطعام والشراب والكساء، ثم أخبرهم أن الزاد المعنوي وهو تقوى الله عزوجل باجتناب ما نهى عنه وفعل ما أمر به وهو خير وأجلّ.

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : "كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ؛ يقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس ، فأنزل الله عزوجل الآية .[٢]

تقرير الحسي والمعنوي وبيان التعلق بينهما :

زاد المسافر

إن الزاد المتَّخذ في سفر الحج لأداء هذه الشعيرة العظيمة هو المأكول حقيقةً من الطعام والشراب ، أو الملبوس من الكساء ، ولاشك أن التزوّد الحسي لهذا السفر المبارك مطلوب شرعاً من الحاجّ ، وهو من الأسباب المشروعة المأمور بالأخذ بها وذلك من تمام التوكل على الله، فإن فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكفّ عن أموالهم، سؤالاً واستشرافاً، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين.

---

[١] جامع البيان (١٦١/٤).

وقد ذكر بعض المفسرين في معنى التزود بأنه الرفيق الصالح ، قال ابن عطية وهذا تخصيص ضعيف ، وقال بعضهم: تزودوا لمعادكم من الأعمال الصالحة، وهذا على المعنى المجازي، وأكثر المفسرون على المعنى الحقيقي للتزوّد . انظر : المحرر الوجيز (٢٧٣/١) التفسير الكبير (٣٢١/٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٤١١/٢)، فتح القدير(٢٣١/١) .

[٢] أخرجه البخاري ١٣٣/٢(١٥٢٣) وأبو داود ١٤١/٢(١٧٣٠) ، وانظر : أسباب النزول للواحدي ص ٦٢ ، ت:الحميدان .

وقد روي عن السلف أنهم أمروا أن يتزودا الكعك والدقيق والسويق والتمر[١] ، ولا شك أن أنواع الزاد من الطعام والشراب واللباس من الأمور الحسية الظاهرة .

زاد الآخرة

وهو الحثّ تزوّد التقوى باتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه، فإن التقوى زاد الآخرة ، وإن حاجة العبد للتقوى أشد من حاجة المسافر أو الحاج لزاد سفره الذي لو تركه ربما هلك .

قال الزمخشري : "﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي"اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فإنّ خير الزاد اتقاؤها"[٢].

وهذا الزاد هو الذي يستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه، فهو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجلّ نعيم دائم أبداً، ومن ترك هذا الزاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين. فهذا مدح للتقوى[٣].

يقول ابن عاشور : "فَالتَّزَوُّدُ مُسْتَعَارٌ لِلاسْتِكْثَارِ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ اسْتِعْدَادًا لِيَوْمِ الْجَزَاءِ شُبِّهَ بِإِعْدَادِ الْمُسَافِرِ الزَّادَ لِسَفَرِهِ بِنَاءً عَلَى إِطْلَاقِ اسْمِ السَّفَرِ وَالرَّحِيلِ عَلَى الْمَوْتِ. فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى بِمَنْزِلَةِ التَّذْيِيلِ أَيِ التَّقْوَى أَفْضَلُ مِنَ التَّزَوُّدِ لِلسَّفَرِ فَكُونُوا عَلَيْهَا أَحْرَص"[٤].

والذي يتأمّل في السياق القرآني لهذه الآية يظهر له جليّا الجمع بين زاد سفر الدنيا وزاد سفر الآخرة ، فبعد أن ذكر الزاد الظاهر الحسّي أتبعه بالزاد الباطن المعنوي .

بيان بعض أوجه الجمال البياني في السياق :

ذكر المفسرون رحمهم الله في هذا السياق كثيراً من الوجوه منها :

قول الرازي :" وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ فِيهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ سَفَرَانِ: سَفَرٌ فِي الدُّنْيَا وَسَفَرٌ مِنَ الدُّنْيَا، فَالسَّفَرُ فِي الدُّنْيَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ زَادٍ، وَهُوَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالْمَرْكَبُ وَالْمَالُ، وَالسَّفَرُ مِنَ

---

[١] انظر : جامع البيان (١٦١/٤) .

[٢] الكشاف (٢٤٤/١) .

[٣] انظر : تفسير السعدي ص ٩٢ .

[٤] التحرير والتنوير (٢٣٦/٢) .

الدُّنْيَا لَا بُدَّ فِيهِ أَيْضًا مِنْ زَادٍ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ وَالْإِعْرَاضُ عما سواه، وهذا الزاد خير من زاد الْأَوَّلِ"[1] .

فقد جمع الإمام الرازي رحمه الله بأنَّ كل من الزادين بلغة في سفر ولا غنى للمسافر عنهما.

وقال ابن كثير : " لَمَّا أَمَرَهُمْ بِالزَّادِ لِلسَّفَرِ فِي الدُّنْيَا أَرْشَدَهُمْ إِلَى زَادِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ اسْتِصْحَابُ التَّقْوَى إِلَيْهَا "[2]

و قال ابن القيم : "أمر الحاجّ بأن يتزودوا لسفرهم، ولا يسافروا بغير زاد، ثم نبههم على زاد سفر الآخرة، وهو التقوى. فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يبلغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزاد من التقوى "[3].

المطلب الثاني: الانتقال من اللباس الحسي إلى اللباس المعنوي في قوله تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾[سورة الأعراف:٢٦].

المعنى الإجمالي :

لما ذكر الله عزوجل قصة آدم وحواء وما فيها من ستر العورات ، وأمرهما بالهبوط إلى الأرض وجعلها مستقراً لهما ، ذكر ما امتنّ به على بني آدم من إنزال[4] ما يحتاجونه في الدين والدنيا ، ومن جملته اللباس الذي يستر العورات ووصفه بأمرين ، مواراة السوأة[5]، وهو اللباس الضروري ، ولباس الزينة الذي يقصد منه الجمال ، ثم أخبر سبحانه أن لباس التقوى هو خير لصاحبه إذا أخذ به وأقرب له إلى الله مما خلق له من اللباس الحقيقي .

وقد روي عن مجاهد في سبب نزول الآية أنها نزلت في قوم من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ، ويرون أن ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة فأمرهم الله عزوجل بالستر[6] .

---

[1] التفسير الكبير (٣٢١/٥).

[2] تفسير القرآن العظيم (٥٤٨/١) .

[3] إغاثة اللهفان (٨٥/١) .

[4] ذكر في معنى (أنزلنا عليكم) ثلاثة أقوال: الأول خلقنا لكم، الثاني : ألهمناكم كيفية صنعه، الثالث: أنزلنا المطر الذي هو سبب نبات ما يتخذ لباساً . انظر : زاد المسير (١٠٩/٢) .

[5] سميت بها لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده .انظر : جامع البيان (٣٦١/١٢) .

[6] انظر : جامع البيان (١٦١/٤) .

تقرير الحسي والمعنوي وبيان التعلق بينهما :

اللباس الحسّي :

إن اللباس الذي أنزله الله عزوجل لبني آدم هو اللباس الحسِّي الحقيقي ،الذي يحتاج إليه الإنسان لستر عورته ، أو ما يتجمَّل به ، فخلق الله عزوجل لبني آدم مادته من القطن والصوف والوبر والريش والحرير وغيرها ، وعلّمهم بما خلق لهم من وسائل صنع اللباس منها كالزراعة والغزل والنسج والخياطة ولا ريب أن هذه الأمور كلها محسوسة يستعملها الإنسان لتحصيل منفعته من أنواع اللباس.

اللباس المعنوي :

وهو الذي عبَّر الله عزوجل عنه بلباس التقوى فقال ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [1]، "وإطلاق اللباس على التقوى إما بتخييل التقوى لباس يلبس، وإما بتشبيه ملازمة تقوى الله بملازمة اللابس لباسه"[2] .

وقد ذكر المفسرون عدة أقوال في المراد بلباس التقوى :

١. أن لباس التقوى هو استشعار تقوى الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه[3].
٢. أنه الحياء[4] .
٣. أنه العمل الصالح[5].
٤. أنه السمت الحسن في الوجه[6] .
٥. أنه الورع و الخشية لله[7].
٦. أنه الإيمان سمي لباس التقوى لأنه يقي العذاب [8] .

---

[1] اختلف المفسرون في المراد بلباس التقوى هنا هل هو على المعنى المجازي أم المعنى الحقيقي بأن يعود على اللباس الأول؛ وإنما أعاده إخباراً أن ستر العورة من التقوى وذلك خير، وقيل هي آلات الحرب التي يتقي بها في الحروب كالدروع والجواشن والمغافر ، وجمهور المفسرين على المعنى المجازي فإن التقوى إذا أطلقت في القرآن لا يراد منها إلا المعنى المتبادر للذهن وهو فعل الأوامر وترك النواهي. انظر : جامع البيان (٣٦٦/١٢)، معالم التنزيل (١٨٦/٢)، التفسير الكبير (٢٢٢/١٤)، المحرر الوجيز(٣٨٧/٢)، التحرير والتنوير (٧٢/٨) ، زاد المسير(١١٠/٢) . والأمر فيه واسع و لا مانع أن يعم هذا وذاك .

[2] انظر : التحرير والتنوير (٧٥/٨) .

[3] انظر : جامع البيان(٣٦٦/١٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٩٦/٧) .

[4] جامع البيان (٣٦٦/١٢)، معالم التنزيل (١٨٦/٢)، زاد المسير(١١٠/٢)، المحرر الوجيز (٣٨٧/٢) .

[5] انظر : جامع البيان (٣٦٧/١٢) .

[6] انظر : جامع البيان(٣٦٧/١٢) ، زاد المسير (١١٠/٢) .

[7] جامع البيان (٣٦٨/١٢)، معالم التنزيل (١٨٦/٢)، الكشاف (٩٧/٢)، فتح القدير (٢٢٤/٢) .

[8] جامع البيان (٣٦٦/١٢)، زاد المسير (١١٠/٢) .

٧. أنه العفاف[١].

وكل هذه الأقوال متقاربة وهي من قبيل التنوع لا التضاد وحاصلها يرجع إلى معنى تقوى الله وخشيته .

والتعلّق في الآية بين الأمرين الحسي والمعنوي ظاهر جليّ ، فاللباس هو الذي يواري السوأة الظاهرة ، والتقوى تواري السوءات الباطنة التي تصيب العبد؛ فالتقوى هي طريق علاجها والتطهّر منها .

كما أن فيه جمع بين الزينتين: زينة البدن باللباس، وزينة القلب بالتقوى، زينة الظاهر والباطن.

بيان بعض أوجه الجمال البياني في السياق :

قال البقاعي : "فيه إيماءٌ إلى عُلُوِّ رُتبة لباس التَّقوى، وحُسن عاقبَته؛ لكونه أهمَّ اللِّباسَين؛ لأنَّ نَزعَه يكون بكَشف العَورة الحسِّيَّة والمعنويَّة، فلو تجمَّلَ الإنسانُ بأحسَنِ المَلابِس، وهو غيرُ مُتَّقٍ؛ كان كلُّه سَوْءات، ولو كان مُتَّقيًا وليس عليه إلَّا خُريقةٌ تُواري عَوْرَتَه، كان في غاية الجَمال والسِّتر والكَمال"[٢]

وقال السعدي : " ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح.وأما اللباس الظاهري، فغايته أن يستر العورة الظاهرة، في وقت من الأوقات، أو يكون جمالاً للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع.وأيضا، فبتقدير عدم هذا اللباس، تتكشف عورته الظاهرة، التي لا يضره كشفها، مع الضرورة، وأما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنها تتكشف عورته الباطنة، وينال الخزي والفضيحة"[٣].

المطلب الثالث: الانتقال من القربة الحسية إلى القربة المعنوية في قوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾[سورة الحج:٣٧]

المعنى الإجمالي :

لما ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة بعض شعائر الدين وأن تعظيمها من تقوى القلوب ، و كان من جملة شعائره البُدن[٤]، "أخبر سبحانه أنه لم يصل إليه لحوم بدنكم

---

[١] معالم التنزيل (١٨٦/٢)، زاد المسير (١١٠/٢) .

[٢] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٧٩/٧) .

[٣] تيسير الكريم الرحمن ص ٢٨٦ .

[٤] البدن : جمع بدنة وهي الإبل أو البقر ، سميت بذلك لأنها تبدن أي تسمن .انظر : المحرر الوجيز (١٢٢/٤) .

ولا دماؤها، ولكن يصل إليه اتقاؤكم إياه أن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه، وعملتم فيها بما ندبكم إليه وأمركم به في أمرها وعظمتم بها حرماته"[1].

"والإشارة بهذه الآية إلى أنه لا يقبل اللحوم والدِّماء إذا لم تكن صادرة عن تقوى الله، وإنما يتقبل ما يتقونه به، وهذا تنبيه على امتناع قبول الأعمال إذا عريت عن نيَّةٍ صحيحة"[2].

وقد روى ابن عباس في سبب نزولها كانوا إذا ذبحوا لطخوا البيت بالدم .

وفي هذا إشارة إلى قبح ما كان يفعله المشركون، من تقطيعهم للحوم الأنعام، ونشرها حول الكعبة، وتلطيخها بالدماء، وتحذير للمسلمين من أن يفعلوا فعل هؤلاء الجهلاء، إذ رضا الله– تعالى– لا ينال بذلك، وإنما ينال بتقوى القلوب و ما أريد به وجه الله.

تقرير الحسي والمعنوي وبيان التعلق بينهما :

شعيرة الهَدْي

الهَدْى الذي يقدمه الحجاج أثناء فريضتهم لأداء مناسك الحج تكتنفه بعض الأمور المحسوسة ، ألا وهي :

١. التسمية والتكبير على الهدي والضحية وهو أن يقول الذابح باسم الله والله أكبر[3].

٢. أن نحر الهدي فيه إراقة الدماء ، وتقطيع اللحوم ، ويتحصل منه عدة منافع دنيوية ، فالانتفاع بلحومها وجلودها وأجزائها ، والانتفاع بالأكل منها في يوم العيد ، ونفع الناس بالهدايا .

ذكر الإخلاص والتقوى

حثَّ الله عزوجل ورغَّب على الإخلاص في نحر الهدي ، وأن يقصد به العبد وجه الله وحده لا رياءً ولا سمعةً ولا مجرد عادة وأن يقدمه بسخاء، ويشكر الله عزوجل على نعمه.

وإن سائر العبادات البدنية لا تقبل إلا بالنية ، فإذا لم تقترن بالإخلاص وتقوى الله عزوجل وأن ينوي بها العبد التقرب إلى الله واتقاء عقابه فلا عبرة بها ، وإنما يتقبل الله من المتقين.

---

[1] انظر : جامع البيان (١٨/٦٤١) .

[2] زاد المسير (٣/٢٣٩) .

[3] قال ابن العربي : "فيه أنه يستحب أن يضم إلى التسمية التكبير عند الذبح، فقد ذكر سبحانه في الآية السابقة ذكر اسمه عليها فقال : (فاذكروا اسم الله عليها صوافّ) وذكر هنا التكبير فيستحب الجمع بينهما ". أحكام القرآن (٢/٢٩٩) .

و في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى"[1] .

والإسلام يربط بين الهدي الذي ينحره الحاجّ وبين تقوى القلوب، فالتقوى هي الغاية من مناسك الحج وشعائره، وهذه المناسك والشعائر كلها سيقت للتوجّه إلى ربّ البيت وطاعته .

بيان بعض أوجه الجمال البياني في السياق :

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "فَإِنَّ تَعْظِيمَهَا مَنْ أَفْعَالِ ذَوِي تَقْوَى الْقُلُوبِ .... وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ الْقُلُوبِ لِأَنَّهَا مَرَاكِزُ التَّقْوَى الَّتِي إِذَا ثَبَتَتْ فِيهَا وَتَمَكَّنَتْ ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي سَائِرِ الْأَعْضَاءِ "[2].

[1] أخرجه البخاري في صحيحه (٦/١) (١) .

[2] الكشاف (١٥٧/٣) .

المبحث الثاني: في الانتقال من الأمور الحسية إلى معنى الهداية والإيمان، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الانتقال من شعيرة الصيام الحسي إلى الذكر لأجل الهداية في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ ﴾[سورة البقرة:١٨٥].

المعنى الإجمالي :

لما أمر سبحانه وتعالى عباده بشعيرة عظيمة من شعائر الإسلام ألا وهي شعيرة الصيام في شهر رمضان ، وعلم سبحانه أن البعض ممن كلّف بهذه الشعيرة قد يصدّه عن أدائها في وقتها – الذي ارتضاه سبحانه لأن يكون وقتاً للأداء– بعض العوارض من مرض أو سفر أو نحوها ، فشرع لهم رحمة منه سبحانه وتعالى أن يقضوا ما فاتهم أدائه في الوقت فقال سبحانه ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ ﴾.

أي : "ولتكملوا عدة الصيام شهراً ولتختموا الصيام بتكبير الله في عيد الفطر ، ولتعظموه على هدايته لكم ، ولكي تشكروا له على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق والتيسير"[1] .

تقرير الحسي والمعنوي وبيان التعلق بينهما :

شعيرة الصيام الحسية :

لاشك أن شعيرة الصيام تكتنفها كثير من الأمور المحسوسة ، فمنها :

١. ثبوت شهر وجوب الصوم فإن الشهر الكريم يثبت بأمر حسي وهو رؤية الهلال ، كما قال عليه الصلاة والسلام: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غبّي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)[2]، ولا يمتري اثنان أن الرؤية متعلقة بحاسة البصر .
٢. ابتداء وقت الصيام وانتهاؤه ، فإنهما متعلقان بأمر حسي مشاهد ألا وهما طلوع الفجر وغروب الشمس كما قال تعالى ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ ﴾ فعلّق سبحانه وتعالى الشروع في هذه الشعيرة على حاسة البصر ، فقوله (يتبيّن) ظاهر

---

[1] انظر : التفسير الميسر (٢٨/١) .

[2] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧/٣) (١٩٠٩) ، ومسلم في صحيحه (٧٥٩/٢) (١٠٨٠) .

في استعمال هذه الحاسة وقت الشروع ، وقوله تعالى ﴿ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ ظاهر أيضاً لأن الليل اسم لوقت غروب الشمس وهو يثبت بالمشاهدة .

٣. ما يكون به الصيام من الإمساك عن الطعام والشراب و نحوها ، فهذا يكتنفه عدد من الحواس منها حاسة البصر ، والذوق ، واللمس، والحسة الباطنة من الجوع والعطش ونحوها .

الذكر لأجل الهداية :

والمتأمّل في السياق القرآني لهذه الشعيرة يجد أن التعلق بين الأمرين الحسي والمعنوي ظاهر وجلي ، فالدلالة على وقت دخول الشهر برؤية الهلال هداية منه تعالى وبيان لأمر كان مبهماً غامضاً ، وكذا الدلالة على وقت الابتداء والانتهاء في اليوم والليلة هداية منه لخلقه ، وبيان لهم ما فرض عليهم من ترك الأكل والشرب ونحوها هداية أخرى ، والأداء لهذه الشعيرة يثمر لنا الهداية العظمى التي ترتقي بالروح إلى أعلى الدرجات، وكل هذه الهدايات تحتاج إلى شكر لله كي تحفظ وتدوم .

بيان بعض أوجه الجمال البياني في السياق :

ذكر المفسرون في بيان الجمال في هذا السياق كثيراً من الوجوه ، منها :

قال الزمخشري : "وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر، فقوله: (لِتُكْمِلُوا) علة الأمر بمراعاة العدّة (وَلِتُكَبِّرُوا) علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) علة الترخيص والتيسير، وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى إلى تبينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان"[١].

فبين رحمه الله تعالى أوجه الترابط بين الجمل في السياق القرآني بيانا ساحرا واضحا .

وقال ابن كثير : "وَقَوْلُهُ: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} أَيْ: وَلِتَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ انْقِضَاءِ عِبَادَتِكُمْ، كَمَا قَالَ: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} [الْبَقَرَة: ٢٠٠] وَقَالَ: [{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ}] (٥) [النِّسَاء: ١٠٣] ، {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الْجُمُعَة: ١٠] وَقَالَ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

[١] الكشاف (٢٢٨/١) .

الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} [ق: ٣٩، ٤٠] ؛ وَلِهَذَا جَاءَتِ السُّنَّةُ بِاسْتِحْبَابِ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ."[١].

فذكر مشروعية الذكر عقب العبادات التي افترضها الله على عباده دلالة لهم على شكره أن وفقهم لأن يكونوا من عبيده .

المطلب الثاني: الانتقال من الطريق الحسي إلى الطريق المعنوي **في قوله تعالى:** ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾[سورة النحل:٩]

المعنى الإجمالي :

لما امتنَّ الله عزوجل لعباده بخلق الأنعام وما فيها من تحصيل المنافع الدنيوية ، كونها تحمل الأثقال إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة ؛ خصّ منها الأصناف الثلاثة من الخيل والبغال والحمير ، وعلَّل خلقها للركوب والاستعانة بها في المسير ، وللزينة؛ ثم ذكر أن عليه بيان الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ، ألا وهو طريق الحق والإسلام ، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها ، ومن الطرق ما هو جائر[٢] ومائل عن الهدى وهو طريق اليهودية والنصرانية[٣] .

"فالقاصد من السبيل: الإسلام، والجائر منها: اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من ملل الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها، سوى الحنيفية المسلمة"[٤].

تقرير الحسي والمعنوي وبيان التعلق بينهما :

السُبُل الحسية

خلق الله عزوجل بهيمة الأنعام لمصالح العباد، وجعلها مسخَّرة لقضاء شؤون حياتهم فهي تملك من القوة الجسميّة ما يستعان بها على الركوب، وحمل الأثقال في المسير والرجوع ، وبلوغ الحاجة بها إلى الطريق الموصل ، ولاشك أن تسيير الأسفار بالرواحل والخيل والبغال والحمير من الأمور المحسوسة الظاهرة، والاقتصار على منفعة الركوب في الآية لأنه أعظم منافعها .

---

[١] تفسير القرآن العظيم (٥٠٥/١) .

[٢] الجائر في اللغة العادل عن الحق . انظر : لسان العرب مادة جور (١٣٥/٤) .

[٣] وقيل أهل الأهواء والفرق الضالة من أمة محمد استدلالاً بقراءة ابن مسعود (ومنكم جائر) وهي قراءة تفسيرية . انظر : المحرر الوجيز (٣٨١/٣) .

[٤] جامع البيان (١٧٥/١٧) .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ "دليلٌ على جواز طَلَب العبد للجمال والزينة– إذا جُرِّدَ صاحبُها من الفخر والخيلاء؛ وأراد بهما إظهارَ نعمة الله عليه– وأنَّه ليس بمؤثِّرٍ في نُسكِ الناسك؛ وليس من الدنيا المذمومة؛ فقد جعلَه سبحانه في عِدَادِ النعمة على خَلْقِه" [1] .

الهداية إلى الطريق المستقيم

إنَّ من تفضّل الله عزوجل لعباده أن بيَّن لهم طريق الإسلام، وذلك بإرسال الرسل بالحجج والبراهين وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه، وقد ذكر الله عزوجل ذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم فقال سبحانه : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ الإسراء: ١٥[الإسراء : ١٥]

وفي الآية تقرير لوحدانية السبيل الحق – وهو صراط الله المستقيم – وأن غيرها من السبل مائل عن الحق فلا يهتدى به.

ووجه الارتباط بين السبيل الحسي والمعنوي ظاهر في الآية وهو أن من قصد الوجه الذي يؤمّه السالك إلى الله في تحصيل مصالح دنياه وآخرته لم يتم هذا إلا بتوحيد طلبه وتقرير وحدانيته والتزام صراطه المستقيم .

ومن أوجه التعلّق بين الحسي والمعنوي أنه كما أورد الآية مورد الامتنان بما خلق لهم من المركوب ومنافعه امتنّ عليهم ببيان طريق الحق القويم الموصل[٢] .

بيان بعض أوجه الجمال البياني في السياق :

قال ابن كثير : "لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ مَا يُسَار عَلَيْهِ فِي السُّبُلِ الْحِسِّيَّةِ، نَبَّهَ عَلَى الطُّرُقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ فِي الْقُرْآنِ الْعُبُورُ مِنَ الْأُمُورِ الْحِسِّيَّةِ إِلَى الْأُمُورِ الْمَعْنَوِيَّةِ النَّافِعَةِ الدِّينِيَّةِ... ... وَلَمَّا ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْحَيَوَانَاتِ مِنَ الْأَنْعَامِ وَغَيْرِهَا، الَّتِي يَرْكَبُونَهَا وَيَبْلُغُونَ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِهِمْ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَهُمْ إِلَى الْبِلَادِ وَالْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ وَالْأَسْفَارِ الشَّاقَّةِ –شَرَعَ فِي ذِكْرِ الطُّرُقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا النَّاسُ إِلَيْهِ، فَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ مِنْهَا مَا هِيَ مُوَصِّلَةٌ إِلَيْهِ"[٣] .

---

[1] النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (٤٧/٢) .

[٢] حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٣١٢/٥) .

[٣] تفسير القرآن العظيم (٥٦٠/٤) .

فجمع بين السبيلين وبين أنَّ لكل منهما مقصد وخير السبل ما شرف مقصدها.

وقال ابن عاشور : "فَلَمَّا ذُكِرَتْ نِعْمَةُ تَيْسِيرِ السَّبِيلِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى الْمَقَاصِدِ الْجُثْمَانِيَّةِ ارْتَقَى إِلَى التَّذْكِيرِ بِسَبِيلِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَقَاصِدِ الرُّوحَانِيَّةِ وَهُوَ سَبِيلُ الْهُدَى، فَكَانَ تَعَهُّدُ اللَّهِ بِهَذِهِ السَّبِيلِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ تَيْسِيرِ الْمَسَالِكِ الْجُثْمَانِيَّةِ لِأَنَّ سَبِيلَ الْهُدَى تَحْصُلُ بِهِ السَّعَادَةُ الأبدية. وَهَذِهِ السَّبِيلُ هِيَ مَوْهِبَةُ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ الْفَارِقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ، وَتَذْكِيرُهُمْ بِمَا يَغْفُلُونَ عَنْهُ، وَإِرْشَادُهُمْ إِلَى مَا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ عُقُولُهُمْ أَوْ تَصِلُ إِلَيْهِ بِمَشَقَّةٍ عَلَى خَطَرٍ مِنَ التورّط فِي بيّنات الطَّرِيقِ"[1].

فبين رحمه الله أن المناسبة بين الأمرين الحسي والمعنوي مناسبة تراقي من السبب الأدنى إلى السبب الأعلى.

المطلب الثالث: الانتقال من الزرع الحسي إلى الإيمان المعنوي **في قوله تعالى:** ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[سورة الفتح:٢٩].

المعنى الإجمالي :

لما أخبر تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، أشدَّاء على الكفار مجتهدون في عداوتهم ، رحماء متحابون متعاطفون بينهم كالجسد الواحد ، وهذه معاملتهم مع الخلق ، وأما معاملتهم مع الخالق فإن من صفاتهم كثرة الصلاة، التي من أجلّ أركانها الركوع والسجود ، مبتغين بتلك العبادة رضا ربهم ، وأخبر أن تلك العبادة –من كثرتها وحسنها– قد أثّرت في وجوههم، حتى استنارت.

ذكر سبحانه أن هذا وصفهم الذي وصفهم الله به، مذكور بالتوراة .

وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، فهم في كمالهم وتعاونهم كزرع أخرج فراخه، فوازرته فراخه في الشباب والاستواء ، فقوي وغلظ ذلك الزرع فاستوى على سوقه من كماله وحسنه واعتداله، و كذلك الصحابة رضي الله عنهم، هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على

[1] التحرير والتنوير (١١٢/١٤) .

ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه،كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلظ، ولهذا قال: {لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال ، فالصحابة رضي الله عنهم، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة[١].

تقرير الحسي والمعنوي وبيان التعلق بينهما :

تشبيه الزرع الحسِّي بالإيمان بالله والدعوة إليه .

يأتي التشبيه في القرآن الكريم من أجل تقريب المعاني ، وفيه دلالة على إعجازه و قوة بلاغته ، وفي هذه الآية شبه الله عزوجل مثلاً بتشبيه محسوس ، مستمد من الطبيعة التي يبصرها الإنسان، فتؤثر فيه لأنه يدركها ويراها قريبة منه وبين يديه، فيرى الزرع وقد نبت ضئيلاً ضعيفاً ثم لا يلبث ساقه أن يقوى فينمو شيئاً فشيئاً بما ينبت حوله من البراعم فيشتد بها ساعده ويغلظ حتى يصبح بهجة الزارع وموضع إعجابه .

وهذا مثل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بداية الدعوة والدخول في الإسلام، فقد كانوا قلّة ضعافاً ، ثم أخذوا في الكثرة والنماء ويدخل فيه الجماعة بعدهم حتى كثر عددهم و اشتد ساعدهم وقوي عضدهم ، وصاروا قوة ملأت قلب نبيهم صلى الله عليه وسلم بهجة وقلوب الكفار غيظاً وحقداً .

ووجه التعلق بين الحسي والمعنوي ظاهر في هذه الآية البليغة ، فالزرع محمد صلى الله عليه وسلم ، والشطأ أصحابه، والمؤمنون حوله، وهذا "التشبيه من أوقع التشبيهات وأوضحها وهو تشبيه تمثيل لأن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد"[٢].

بيان بعض أوجه الجمال البياني في السياق :

قال الماوردي : "ووجه ضرب المثل بهذا الزرع الذي أخرج شطأه، هو أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بدأ بالدعاء إلى دينه كان ضعيفاً، فأجابه الواحد حتى كثر جمعه وقوي أمره كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً فيقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ ساقه وأفراخه فكان هذا من أصح مثل وأوضح بيان"[٣].

---

[١]انظر :تيسير الكريم الرحمن ص: ٧٩٥ – ٧٩٦ ، باختصار .

[٢]انظر : الجمان في تشبيهات القرآن ص ٣١٣ .

[٣]النكت والعيون (٣٢٤/٥) .

المبحث الثالث:في الانتقال من الأمور الحسية إلى الطهارة المعنوية، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: في الانتقال من إنزال الأمطار الحسية إلى طهارة الأرواح في قوله تعالى:﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[سورة الأنفال:١١].

المعنى الإجمالي :

لما ذكر الله عزوجل ما حصل يوم بدر وما أنزل عليهم النعاس لأجل أن يكونوا آمنين من الخوف والفزع من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، ذكر سبحانه أنه أنزل عليهم من السماء مطراً ليطهرهم به من الأحداث والجنابات ، ويذهب عنهم وساوس الشيطان وخواطره السيئة ، ويقوي قلوبهم فيشدها لتثبت ولا تضطرب بوساوس الشيطان، وتمتلئ باليقين والنصر ، وتقوى على الصبر والإقدام على مقاتلة الأعداء، كذلك يثبت به أقدامهم فإن الأرض كانت سهلة دهسة فلما نزل عليها المطر تلبّدت وثبتت به الأقدام[١].

روي عن ابن عباس أنه قال : "نزل النبي صلى الله عليه وسلم = يعني: حين سار إلى بدر= والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دَعْصَة[٢] فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلُّون مُجْنِبين! فأمطر الله عليهم مطرًا شديدًا، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدوابّ، فساروا إلى القوم، وأمدّ الله نبيه بألف من الملائكة، فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنِّبةً، وميكائيل في خمسمائة مجنبةً"[٣].

تقرير الحسي والمعنوي وبيان التعلق بينهما :

إنزال الأمطار

إن ما حصل يوم بدر من الأمور الحقيقية المحسوسة التي شهدها الصحابة رضوان الله عليهم، ومنها إرسال الله عزوجل الأمطار في الليلة التي وقعت بدر من صبيحتها ، وكانت ليلة الجمعة وهي الليلة السابعة عشرة من رمضان عام اثنين من الهجرة ، فكان ذلك المطر واقعاً موقعه، لأن المكان الذي كانوا فيه وادي وفيه دهس، يعني رمل تسوغ

---

[١] انظر : جامع البيان (٤١٩/١٣)، تفسير القرآن العظيم (٢٤/٤)، تيسير الكريم الرحمن ٣١٦ .

[٢] رملة دعصة هي أرض سهلة فيها رملة تحمي عليها الشمس ، فتكون رمضاؤها أشد من غيرها . انظر تعليق أحمد شاكر في حاشية جامع البيان (٤٣٢/١٣) .

[٣] جامع البيان (٤٢٣/١٣-٤٢٤) .

فيه الأقدام، فثبّت لهم المطر الأرض حتى صار المشي عليها سهلاً ، وعلى هذا فإن تثبيت الأقدام كان على الحقيقة وذلك بتلبيد الرمل بالمطر وسهولة المشي في الأرض .
و أيضاً كان مما انتفعوا به من نزول الأمطار اغتسالهم من الجنابة وتطهّرهم وشربهم وسقاية دوابهم .

الطهارة المعنوية

رغّب الإسلام بطهارة الباطن والعناية بها مما يشوبها من المعاصي والذنوب ، وجعل تطهير النفوس سبباً لمغفرة الذنوب ومحبته سبحانه وتعالى ، و يمكن أن نجمل ما ذكر في الآية من الأمور التي تجعل المؤمن طاهراً نقيّاً :

١. إخلاص النية لله عزوجل ، والرغبة في الشهادة وإيثار الآخرة على الدنيا .
٢. الثبات في لقاء العدوّ وتذكر الله في العسر واليسر .
٣. التوكل على الله والالتجاء إليه ، وعدم تصديق الخلافات والأراجيف واليأس والقنوط والقضاء على وساوس الشيطان من تثبيط الهمم والتيئيس من النصر .

ويظهر في الآية الارتباط الشديد بين الأمرين الحسّي والمعنوي ، فكما أنزل عليهم المطر من السماء و طهّر به ظواهر أبدانهم أعقبه بما أنزل عليهم من الرحمة التي أنقى بها سرائر قلوبهم ، وطهّر نفوسهم من وساوس الشيطان ، وربط على قلوبهم باليقين والصبر .

بيان بعض أوجه الجمال البياني في السياق :

قال أبي حيان : "وانظر إلى فصاحة مجيء هذه التعليلات ؛ بدأ أولاً منها بالتعليل الظاهر وهو تطهيرهم من الجنابة ، وهو فعل جسماني أعني اغتسالهم من الجنابة ، وعطف عليه بغير لام العلة ما هو من لازم التطهير وهو إذهاب رجز الشيطان حيث وسوس إليهم بكونهم يلّون ولم يغتسلوا من الجنابة ثم عطف بلام العلة ماليس بفعل جسماني وهو فعل محله القلب وهو التشجيع والاطمئنان والصبر على اللقاء وعطف عليه بغير لام العلة ما هو من لازمه وهو كونهم لايفرون وقت الحرب فحين ذكر التعليل الظاهر الجسماني والتعليل الباطن القلبي ظهر حرف التعليل ، وحين ذكر لازمها لم يؤكد بلام التعليل وبدأ أولاً بالتطهير لأنه الآكد والأسبق في الفعل ولأنه الذي تؤدى به أفضل العبادات وتحيا به القلوب "[١] .

[١] البحر المحيط (٢٨٤/٥) .

وقال ابن كثير : "وَقَوْلُهُ: {لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} أَيْ: مِنْ حَدَثٍ أَصْغَرَ أَوْ أَكْبَرَ، وَهُوَ تَطْهِيرُ الظَّاهِرِ {وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ} أَيْ: مِنْ وَسْوَسَةٍ أَوْ خَاطِرٍ سَيِّئٍ، وَهُوَ تَطْهِيرُ الْبَاطِنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ: {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ} فَهَذَا زِينَةُ الظَّاهِرِ {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} [الْإِنْسَانِ: ٢١] أَيْ: مُطَهِّرًا لِمَا كَانَ مِنْ غِلٍّ أَوْ حَسَدٍ أَوْ تَبَاغُضٍ، وَهُوَ زِينَةُ الْبَاطِنِ وَطَهَارَتُهُ"(١).

المطلب الثاني: في الانتقال من إنزال صدقة المال الحسي إلى طهارة القلب **في قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[سورة المجادلة:١٢]

المعنى الإجمالي :

يأمر تعالى المؤمنين بالصدقة، أمام مناجاة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تأديباً لهم وتعليماً، وتعظيماً للرسول صلى الله عليه وسلم، فإن هذا التعظيم، خير للمؤمنين وأطهر أي: بذلك يكثر خيركم وأجركم، وتحصل لكم الطهارة من الأدناس، التي من جملتها ترك احترام الرسول صلى الله عليه وسلم والأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها، فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزاناً لمن كان حريصا على الخير والعلم، فلا يبالي بالصدقة، ومن لم يكن له حرص ولا رغبة في الخير، وإنما مقصوده مجرد كثرة الكلام، فينكف بذلك عن الذي يشق على الرسول، هذا في الواجد للصدقة، وأما الذي لا يجد الصدقة، فإن الله لم يضيق عليه الأمر، بل عفا عنه وسامحه، وأباح له المناجاة، بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها (٢) .

وروي عن مجاهد أنه قال: نهوا عن مناجاة النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قدم دينارًا فتصدق به، ثم أنزلت الرخصة في ذلك(٣) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٤/٤) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٤٧ .

(٣) جامع البيان (٢٧٤/٢٣) .

تقرير الحسي والمعنوي وبيان التعلق بينهما :

الصدقة

الصدقة هي ما يخرجها الإنسان من مال أو طعام أو شراب وينفقها لمستحقها من الفقراء والمساكين تقرباً إلى الله عزوجل ، وهي من شعائر الدين العظيمة لما فيها من المنافع والمصالح التي ينتفع بها المجتمع ، ويسدّ بها حاجات الفقراء ويدفع الفاقة عنهم ، ولاشك أن تلك المنافع هي من الأمور المحسوسة التي يبذلها الإنسان ليضمن تكافل المجتمع.

طهارة القلب

من أعظم ما حثَّ عليه الإسلام العناية بطهارة القلب وصلاحه، وتطهيره من الخطايا والذنوب وكفّ بلائها، وعلى ما في القلب يكون الجزاء يوم القيامة، حيث أن ثواب الأعمال يكون بما انعقد عليه القلب من الإخلاص وحسن النية .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك حيث قال : "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم"[١].

و"هذا الحديث الصحيح يدلنا على أن محل النظر والاعتبار القلب والعمل، أما المال والجسم فليس محل الاعتبار وليس محل النظر من الله ؛ لأن المال يعطاه الكافر والمسلم، والجسم يكون قويًّا ويكون ضعيفاً، ويكون جميلاً ويكون دميماً للمسلم والكافر، وإنما الاعتبار بقلبك وعملك، متى صلح قلبك وصلح عملك فزت بالنجاة والسلامة، وكنت في المنزلة العالية عند ربك ، ومتى خبث قلبك وخبث عملك بؤت بالعاقبة الوخيمة وصارت منزلتك عند الله شر منزلة"[٢]

والتعلّق بين الصدقة وطهارة القلب ظاهر جليّ، فإن بذل الصدقة والحرص عليها دليل على طُهر النفس وزكاؤها، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم "والصدقة برهان"[٣] أي دليل على صدق الإيمان بالله تعالى وإخلاص النية له، وسميت صدقة لأنها دليل على صدق إيمانه وبرهان على قوة يقينه.

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٨٦/٤) (٢٥٦٤) .

[٢] التفسير الكبير (٤٩٦/٢٩) .

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٣/١) (٢٢٣).

بيان بعض أوجه الجمال البياني في السياق :

قال ابن عاشور : "قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ ، في قوله: {تُطَهِّرُهُمْ} إشارةٌ إلى مقامِ التَّخليةِ عن السَّيِّئات، وقولُه: وَتُزَكِّيهِمْ إشارةٌ إلى مقامِ التَّحليةِ بالفضائلِ والحَسَنات، ولا جرَمَ أنَّ التَّخليةَ مُقَدَّمةٌ على التَّحليةِ"[1]

المطلب الثالث: في الانتقال من تطهير الثياب إلى تطهير الاعتقاد في قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[سورة المدثر:٤- ٥]

المعنى الإجمالي :

لما أمر الله عزوجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في بداية السورة بالاجتهاد في عبادته وتعظيمه وتكبيره أمره أن يطهّر ثيابه من النجاسات حيث أن إزالة النجاسة شرط من شروط الصلاة .

ثم أمره بتوحيد الله وإخلاصه وترك ما يعبد من دونه من الأصنام والأوثان ، وترك الذنوب والمعاصي ، والرجز أعمال الشر كلها .

"ومناسبة تطهير الثياب لأنه عطف على وربك فكبر لأنه لما أمر بالصلاة أمر بالتطهر لأن الطهارة مشروعة للصلاة"[2].

تقرير الحسي والمعنوي وبيان التعلق بينهما :

طهارة الثياب

المراد بالثياب في هذه الآية الثياب الملبوسة حقيقة[3]، والمعنى تطهيرها من النجاسات ، لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة ، ويقبح أن تكون ثياب المؤمن نجسة ، ومن هذه الآية ذهب الشافعي إلى وجوب غسل النجاسة من ثياب المصلي[4] ، ويندرج تحته أيضا تقصيرها دون الكعبين[5] .

وظاهرٌ أن الثياب و تقصيرها، وتطهيرها من النجاسات من الأمور المحسوسة .

---

[1] التحرير والتنوير (٢٤/٤) .

[2] التحرير والتنوير (٢٩٧/٢٩) .

[3] رجحه الطبري في جامع البيان (١٢/٢٣) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٣٢٦/١٠)، والشوكاني في فتح القدير (٣٨٩/٥)، وذلك لأن السياق في أمر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالعبادة ومنها الصلاة والطهارة شرط في صحتها .

وذكر بعض المفسرون أن الثياب هنا مجاز ، وهي كناية عن طهارة العمل ، ويكون المعنى وعملك فأصلح. انظر : روح المعاني (١٣٢/١٥)، و جوّز بعضهم حمل المعنى على الحقيقة والمجاز ، انظر: التحرير والتنوير (٢٩٨/٢٩) .

[4] المحرر الوجيز ٣٩٢/٥ .

[5] انظر : الجامع لأحكام القرآن (٦٦/١٩) .

طهارة الاعتقاد

ذكر المفسرون في المراد من قوله تعالى : ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ عدد من الأقوال :

١. أن المراد والشرك فاهجر .
٢. أو من الآثام والأصنام .
٣. والذنب فاهجر .
٤. والعذاب فاهجر .
٥. والظلم فاهجر[١] .

وعلى هذه الأقوال "فيكون أمراً له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه"[٢]، "والمراد الثبات على هجره صلى الله عليه وسلم لأنه كان بريئاً منه[٣] .

والارتباط بين تطهير الثياب وتطهير الاعتقاد ظاهر بيّن ، فكما وجب على المؤمن تطهير ثيابه من النجاسات وجب عليه تطهير اعتقاده من الشركيات .

بيان بعض أوجه الجمال البياني في السياق :

قال البقاعي : "﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴾ أي وقم فخص ثيابك الحسية بإبعادها عن النجاسات بمجانبة عوائد المتكبرين من تطويلها، وبتطهيرها لتصلح للوقوف في الخدمة بالحضرة القدسية، والمعنوية وهي كل ما اشتمل على العبد من الأخلاق المذمومة والعوائد السقيمة من الفترة عن الخدمة والضجر والاسترسال مع شيء من عوائد النفس، وذلك يهون باستكمال القوة النظرية.ولما أمر بمجانبة الذر في الثياب وأراد الحسية والمعنوية، وكان ذلك ظاهراً في الحسية، وجعل ذلك كناية عن تجنب الأقذار كلها لأن من جنب ذلك ملبسه أبعده عن نفسه من باب الأولى،حقق العموم وأكد فقال: ﴿ وَٱلرُّجۡزَ ﴾ أي كل قذر فإنه سبب الدنايا التي هي سبب العذاب"[٤].

---

[١] انظر : النكت والعيون (١٣٧/٦)، زاد المسير (٣٦٠/٤) .

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٩٥ .

[٣] الكشاف (٦٤٥/٤) .

[٤] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٣/٢١-٤٤).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج :

١. كشفت الدراسة بديع جمع القرآن بين الحسي والمعنوي، وظهر انسجام الآيات بعضها ببعض وتكاملها.
٢. إن القرآن الكريم ينتقل من معنى إلى آخر وبينهما علاقة وثيقة ومناسبة لطيفة تجعل هذا الانتقال من الحسي إلى المعنوي في غاية الاعجاز والبلاغة .
٣. أن كثيراً من الألفاظ القرآنية قد تحتمل المعنى الحسي والمعنى المعنوي، ويراعى في المعاني الظاهر من الخطاب ولا يتجاوز إلى غيره بلا دليل .
٤. إن تدبر الآية معين على معرفة الرابط الحسي بالمعنوي في الآية .
٥. إن علاقة المعاني بسياق الآيات علاقة قوية ، فهما حقيقتان متحدتان ، والعناية بأحدهما عناية بالآخر .
٦. إن أسلوب التشبيه في القرآن الكريم أسلوب بليغ يربط بين الطبيعة الحسِّية التي يراها الناس جميعاً والأمور المعنوية .
٧. أن البحث في الترابط الحسي والمعنوي يسهم في الرقي في علم مناسبات القرآن الكريم .
٨. إن بيان الرابط بين الحسي والمعنوي ليس لمجرد المعرفة وإنما هو سبيل للتدبر والفهم والهدية الذي إن سلكه صاحبه أوصله لتطبيق أمر الله وامتثال ما شرع .
٩. إن الدلالات الحسية والمعنوية في القرآن الكريم مبحث خصب لمن أراد أن يستزيد منها .

هذا وأسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمدلله رب العالمين .

المراجع

١. أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٢. أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٣. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١) حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ .

٤. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت،الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٥. تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

٦. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

٧. تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

٩. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

١٠. التفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م .
١١. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م .
١٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .
١٣. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .
١٤. الجمان في تشبيهات القرآن، المؤلف : أبو القاسم عبدالله بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ٢٠١١م .
١٥. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت .
١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
١٧. زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
١٨. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .
١٩. فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .

٢٠. كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .
٢١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
٢٢. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى:٧١١هـ)، الناشر:دار صادر– بيروت،الطبعة: الثالثة -١٤١٤ هـ .
٢٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
٢٤. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .
٢٥. مقالات في الاسلوبية، ص ٣٧، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ط١/١٩٩٠.
٢٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .
٢٧. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٢٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
٢٩. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، المؤلف: أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ)، تحقيق: علي بن غازي التويجري، دار النشر: دار القيم – دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .